

صورة التواصل العلمي بين توات والمجاليين المغاربة والسوداني

من خلال مخطوط

فهرسة عبد الرحمن بن عمر التلاني التواتي المتوفي 1169 هـ

أ. عبد الرحمن بعثمان *

يعتبر إقليم توات¹ من أهم الحواضر العلمية التي لعبت دورًا هامًا في إثراء الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب العربي في العصر الحديث، فقد شكل على مدى تاريخه الضارب في القدم، منطقة ربط بين حواضر شمال المغرب العربي العتيقة وحواضر ما وراء الصحراء الإفريقية الناشئة، ذلك إن وقنوع المنطقة ضمن طريق القوافل القادمة من الشمال والمتجهة إلى جنوب الصحراء، وركاب الحاج الآخذة نفس الطريق أو تلك القادمة من حواضر المغربين الأوسط والأقصى، والمتجهة نحو الأراضي المقدسة، وقد كون هذا المعطى رافدا هام لتلاقي الثقافات والمعارف مما أضفى على المنطقة ديناميكية علمية أسفرت على إنتعاش حركة التأليف في شتى أ مجلة العلوم ترجمها الكم الهائل من المخطوطات التي شكلت ميراثا علميا ومخزونا تراثيا يظل شاهدا على ثقل الإقليم العلمي والثقافي وكثرة علمائه الذين تصدروا حلقات الدرس وألفوا الكثير من المصنفات، أغنوا بها المكتبة التواتية وقتذاك .

* أستاذ مساعد بقسم التاريخ جامعة بشامر.

أولا/ التعرف بمؤلف المخطوط:

المولد: ولد أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن معروف بن يوسف التتلائي التواتي سنة 1121هـ / 1709هـ² بتتلان وهي إحدى أشهر قصور مقاطعة تيممي (أدرار حاليا) من عائلة اشتهر أهلها بالعلم والمعرفة، إذ هي من أجل البيوتات التواتية، حيث يتصل نسبها بالخليفة الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، والتي ازدادت شهرة بعد تأسيس الزاوية في تتلان من طرف العلامة الشيخ أحمد بن يوسف الوانقالي التتلائي، وهو عم والد المؤلف، والذي جعل منها منارة علمية عم نفعها جميع البلاد التواتية

الدراسة والشيخ:

لقد أثنى محمد بن عبد الكريم التمنيطي على الشيخ عبد الرحمن التتلائي، حيث قال عنه: "...شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ، العلامة، الفهامة، علم الأعلام، ومرشد الإسلام، أبو زيد كان - رحمه الله - عالماً، ثاقب الذهن ذا وقار وديانة، انتهت إليه رئاسة الفقه بالديار الصحراوية..."³.

وقال عنه المهداوي في تقييده الدرة الفاخرة: "...عالم العصر... من أهل قيام الليل، كان من غرائب الدهر تقدم في جميع فنونه وكان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه، صالحاً، مجتهداً، نوازلياً، عجيباً، فاضلاً، في فنون كثيرة وتخرج عنه الأعيان..."⁴.

ومن خلال ثناء مترجميه عليه، يمكن أن نلمس مدى الثقل العلمي للشيخ في البلاد التواتية إذ هو من بين أشهر أقطاب الفقه المالكي في توات، كرس حياته للعلم والتعليم، وقد صرح بذلك في مقدمة فهرسته حيث قال : "... وكنت مِنَّة من الله ممن ألهمه لطلبه وعلق همته بحمله وكتبه ..."⁵

تلقى العلم على يد مجموعة من المشايخ وفق طرق التدريس المتبعة في القطر التواتي حيث دخل الكتاب في سن مبكرة فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني، وذلك بعد رجوع الأخير من فاس التي كان يعمل فيها مدرسا بجامع القرويين سنة 1129 هـ / 1717م⁶، وبعد حفظه القرآن انتقل إلى دراسة العلوم الإسلامية الأخرى وفق المنهج التعليمي في البلاد التواتية، حيث درس عليه صحيح البخاري وشمائل الترمذي وكتاب الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض السبتي، وبعض مظان فقه مالك؛ كرسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، ومتن المرشد المعين لابن عاشر ثم درس علوم اللغة والمنطق بدءاً من ألفية ابن مالك ولامية الأفعال والأجرومية وتلخيص المفتاح، والسلم في المنطق، وغيرها من المصنفات التي كان تشكل منهاج التدريس في توات.

ولأن الزاوية التنلانية، فيما يظهر أشبه بالجمع الفقهي، كانت تستقطب إليها الفقهاء فيجتمعون فيها ويتدارسون قضايا الفقه وما استجد وعسر من النوازل فإن المؤلف استغل ذلك فكان على احتكاك دائم بمن يفد إلى الزاوية من العلماء، ومن أهم العلماء الذين التقى بهم ونهل من معينهم الشيخ أبو زيد

عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري الذي قدم تنلان لطلب العلم على الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر، حيث يقول في فهرسته ".... ولما قدم - ويعني الجنتوري- وجدني صبيا فلما جالسته وقع في قلبي حبه.."⁷ فدرس عليه المرشد المعين والدرر اللوامع والأجرومية.

ولعل انبساط الجنتوري مع الطلبة ساهم في ارتفاع نسبة الاستيعاب لديهم وفي ذلك يقول المؤلف : "... واستفدنا أضعاف ما استفدنا من شيخنا أبي حفص لانبساطه معنا ومداعبته وصبره على جفائنا .."⁸.

إرتحل الجنتوري إلى بلده "جنتور"⁹ فاستأذن المؤلف أبويه وشيخه بالرحيل إليه، فكان له ذلك فأقام عنده أربعة أشهر ثم رجع إلى تنلان وأقام بها خمسة أشهر ثم عاد إلى جنتور فأقام عند الشيخ قرابة السنة، درس فيها المختصر وصحيح البخاري ثم عاد إلى بلاده.

ومن العلماء الذين التقى بهم المؤلف في الزاوية التنلانية، شيخه العلامة عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي¹⁰، الذي قدم تنلان لحل خلاف بينه وبين رجل، ولقد أثنى عليه المؤلف في فهرسته حيث وصفه بالولاية والتواضع وحسن الخلق ولين العريكة والتفرس في فنون الفقه واللغة والشعر، ولقد وجد فيه المؤلف ما يسد نهمه في علم اللغة حيث جالسه مدة مقامه بتنلان وكان بينهما تدارس لمقصورة ابن دريد.

لكن الشيخ لم يلبث أن عاد إلى بلاده، مخلفاً حزناً عميقاً في نفس المؤلف، فطلب الأخير من شيخه عمر بن عبد القادر الإذن بزيارة ضريح الولي الصالح

محمد بن عبد الكريم المغيلي، ولم يكن في ذلك يود إلا زيارة الشيخ عمر الرقادي . في الزاوية الرقادية . حيث مكث عنده مدة أسبوع وصف لنا خلالها طريقة تدريس الشيخ الرقادي، حيث نعتة بالمتعهد، إذ كان يدرّس من الضحى إلى صلاة الظهر صحيح البخاري وشرح القسطلاني وبين الظهر والعصر يشرح لطلبته باباً من إحدى المتون .

وبعد انقضاء المدة، رجع إلى تنلان منتزعا وعداً من الشيخ بقاء قريب، حيث زار الرقادي تنلان وأقنع الشيخ أبا حفص بالسماح للمؤلف بمرافقته إلى بلده، فأسلمه في هذه المرة التدريس في الزاوية الرقادية، حيث درّس السُّلم في علم المنطق لكن الأخير استوخم بلده بعد علة أصابته¹¹، فعاد إلى تنلان بعد استأذان الشيخ الذي قبل على مضض مرسلاً ولده للدراسة في تنلان، بعد أن لمس الشيخ الرقادي تمكنه في العلوم العقلية والنقلية مما جعله يوكل إليه تدريس المنطق ثم يبعث معه ابنه للدراسة على يديه، وتسود هذه الظاهرة في المدارس القرآنية والزوايا التعليمية في توات، فنجد أن الشيخ ينتجب بعض التلاميذ المتفوقين من أجل مساعدته في الإقراء، حيث يتخلى لهم عن بعض الصلاحيات، أجلها عملية التدريس، وهذا الأمر قد ينسحب على ما حدث مع المؤلف.

ومن المشايخ الذين التقاهم في تنلان العالم اللغوي أبو عبد الله محمد بن أب المزمري الذي مر بالزاوية متوجهاً إلى تيجورارين سنة 1151 هـ / 1738م، حيث أخذ عليه المرشد المعين والخزرجية في علم العروض .

لم يقبّع الشيخ عبد الرحمن في زاويته منتظراً من يقدم عليه من العلماء بل كانت له رحلات عدة في طلب العلم، فأولى رحلات المؤلف العلمية قادته إلى بلاد التكرور صحبة شيخه عمر الرقادي، حيث أقاما بقرية تودن ومنها انتقلا إلى مدينة أروان¹² وفيها التقى بشيخه أحمد بن صالح السوقي التكروري حيث درس على يديه بعض المصنفات اللغوية مثل الخزرجية في علم العروض وقد اختار لذلك وقت القيلولة لانشغاله ببقية اليوم مع الطلبة الذين كانوا يتلقون الدروس عنه بلغات عدة لاختلاط أجناسهم، من عرب وتكرور وتوارق.

أما برنامجه اليومي، فقد كان غاية في الكثافة فكان يجلس في حلقة الدرس من صلاة الفجر إلى القيلولة، ومن صلاة الظهر إلى العشاء، يقدم خلالها دروسا تشمل الفقه والنحو وعلم الكلام وغيرها من العلوم، وقد استفاد منه المؤلف غاية الاستفادة.

وفي سنة (1168 هـ / 1754م) رحل المؤلف إلى سجلماسة، لأخذ علوم القراءات والتجويد عن شيوخها حيث لقي هناك الشيخ صالح بن محمد الغماري¹³، كما حصل له اللقاء أيضا مع الشيخ أحمد ابن عبد العزيز الهلالي¹⁴.

ولعل ركاب الحاج المازة بالبلاد التواتية كان لها الأثر البالغ في حياة المؤلف التعليمية حيث كان الركب يمر بمحطات عدة منها عين صالح وزاوية اقبلي من بلاد تيدكلت وزاجلو¹⁵ من بلاد توات، وكان طلبة العلم يتحिनون مرور الركب لمجالسة من فيه من العلماء وحضور دروسهم والاستجازة منهم، فخلال ذلك التقى المؤلف بعالمين جليلين هما أحمد الأمين الغلاوي التواتي الشنقيطي، الذي هو

شيخ شيخه عبد الرحمن الجنتوري وكان لقاءهما في زاوية أقبلي فطلب منه الإجازة. كما اعترض المؤلف ركب حجاج سنة 1147هـ/1734م ، أثناء مروره بقرية زاجلو، فالتقى بالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الدرعي حيث أخذ عنه الصحيحين وشفاء القاضي عياض والجامع الصغير للسيوطي وبعض المتون واستجازه في كل ذلك¹⁶.

التصديق للإفتاء:

تصدر الشيخ عبد الرحمن التلاني التواقي للإفتاء في الديار التواتية، فكان المرجع فيما ينزل من نوازل، وقد وردت في المصادر المخطوطة نبذ من حياته العلمية ودوره الدعوي في القطر التواقي، من ذلك ما أورده صاحب جوهرة المعاني الذي نعتة بـ: "...منتهى رئاسة الفقه بالديار الصحراوية..."، وأوصله إلى درجة الاجتهاد حيث قال: "... وكان من مجتهدي وقته في المذهب المالكي ... " ¹⁷، وما يرجح هذا القول هو أن مخطوط غنية المقتصد السائل والذي هو المرجع الفقهي الأساسي في الديار التواتية من استشاراته وإجاباته عن النوازل¹⁸ كما أخذت فتاواه القسط الوافر من مخطوطي الجامع وغاية الأمان في أجوبة أبي زيد التلاني واللذين جمعهما الشيخ محمد عبد الكريم بن عبد الملك البلبالي الأنصاري وهما بشكل مراسلات علمية بينه وبين ابنه محمد¹⁹.

كما يعتبر المؤلف رابع أربعة انتهت إليهم شورى القضاء في البلاد التواتية فكان القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري يرجع إليه فيما صعب من المسائل كما أن الشيخ لم ييخل بإسداء النصيح لهم وهذا ما بسطه صاحب جوهرة

المعاني في سياق ترجمته للمؤلف حيث قال: "... لم يزل قاضي الجماعة الشيخ عبد الحق معتمدا على فتاويه" ، ومن سياق نصحه للقاضي قوله: "... كتب للقاضي - يعني المؤلف - ... وإن خاطبتك بالمقول فاقرع باب نظرك فإنك مسئول... وأسأل الله لك التوفيق" ²⁰ وهذا ما يؤكد أن الشيخ كان مستثقا للقضاء واعيا بمسؤولية القاضي، وإلا فلماذا لم يتقدم للقضاء واكتفى بإسداء النصح وتقديم المشورة للقاضي مع العلم أن الأخير أحد تلامذته .

النتاج العلمي: ألف الشيخ عبد الرحمن بن عمر التلاني عدة مؤلفات أهمها :

- أرجوزة في الفلك ²¹
- أرجوزة شبكة القنّاص في نظم درة الغواص ²²
- مجموعة تقايد وفتاوى ²³.
- رحلة حجازية: ²⁴
- مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون
- أرجوزة مدح فيها تأليف إمام الحرمين المسمى بالورقات و شرح الخطاب ²⁵:
- تقرّظ على نظم الأجرومية لابن أب المزمري ²⁶
- مختصر النوادر ²⁷ .
- فهرسة شيوخه

التلاميذ: خَلَفَ المؤلف العديد من التلاميذ الذين أكملوا مسيرته العلمية وجمعوا شتات فتاويه وتصدروا في حياته وبعد وفاته للإفتاء والقضاء، وحازوا سبق في فنون العلم والمعرفة، ومن أهمهم :

* الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عمر التتلائي التواتي (1151 - 1233 هـ)²⁸

* الشيخ محمد بن محمد العالم الزجلوي (المتوفى 1212 هـ/1797 م):²⁹

* الشيخ الأديب الشاعر محمد المبروك البوداوي (المتوفى ببودة 1196 هـ/1782 م)³⁰

* القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري (المتوفى 1210 هـ/1795 م)³¹

* محمد بن عبد الرحمن البلبالي (المتوفى 1244 هـ/1828)

* عبد الله بن عبد الرحمن: ابن المؤلف، توفي 1221 هـ/1806 م).

* عمر بن عبد الرحمن الأصغر (1152-1212 هـ/1739-1797 م)³²

* أبو عبد الله الفلاني (المتوفى 1194 هـ/1780 م)³³

* محمد بن مالك الفلاني القبلوي³⁴

الوفاة: وفي يوم الأحد 29 صفر 1189 هـ/1775 م عام "طفقش"³⁵ ، بحساب

الجمل توفي الشيخ عبد الرحمن التواتي بالقاهرة، ودفن الشيخ في مقبرة أبي عبد الله المنوفي وصلى عليه جميع من في الركب إضافة إلى ألوف من المصلين³⁶

وقد رثاه تلميذه الأديب الشاعر محمد بن المبروك البوداوي بياثية رائعة النظم قال في مطلعها:

أَلَا يَأْمُرُ قَدْ إِرْدَدَتْ فَخْرًا	حَبْرٍ حَلَّ مَقْبَرَةَ الْمُنَوْنِي
بُعَيْدَ زِيَارَةِ الْهَادِي الْمَنْبَا	مَنْ جَحَّ الْبَيْتِ حَقًّا بِالْوُقُوفِ
تَضَلَّعَ فِي الْعُلُومِ وَكَانَ دَهْرًا	يُدْرِسُهَا الْقَرِيبَ مَعَ الضُّيُوفِ
وَيُقْصَدُ بِالنَّوْازِلِ كُلِّ يَوْمٍ	فَيَكْشِفُ مَا عَلَيْهَا مِنْ نَصِيفِ
وَيَصْدَعُ بِالْحَقِيقَةِ مَنْ أَبَاهَا	وَأَبْعَضَهَا عَلَى رَغْمِ الْأُثُوفِ

ثانيا/ التعريف بمخطوط الفهرسة:

يعتبر مخطوط فهرسة الشيخ عبد الرحمن التلاني التواتي من أهم المصادر التاريخية التي سلطت الضوء على الحركة العلمية في توات وعلاقتها بالمجالات الجغرافية المجاورة كبلاد التكرور وحواضر المغرب الأقصى الزاهرة، وتقع النسخة المخطوطة في 45 ورقة مقاسها (19x14 سم) ومسطرتها 31 سطرا في المتوسط، وعدد كلمات السطر 19 كلمة في المتوسط، وخطها مغربي رفيع ورائق.

ثالثا/ مظاهر التواصل العلمي بين توات والمجاليين المغربي والسوداني من خلال الفهرسة: يكتسي مخطوط فهرسة عبد الرحمن التواتي أهمية بالغة بين مخطوطات القطر التواتي إذ يصور بجلاء الحياة العلمية والثقافية في توات وعلاقتها بالحواضر العلمية المجاورة لها فالمخطوط بما حوى من مادة جزيلة هو بمثابة المفتاح لكثير من الغوامض التي تكتنف تاريخ منطقة توات، ويمكن استثمار مادتها في رصد خيوط تلك العلاقة العريقة التي ربطت على مدى قرون بين الحواضر الشمالية لبلاد المغرب وحواضر بلاد إفريقيا ما وراء الصحراء والتي كانت توات محورها وممرها الحتمي.

أ/ المراكز العلمية في توات وبلاد التكرور والمغرب الأقصى من خلال الفهرسة :

تعطينا رسدا شاملا لكافة المراكز العلمية النشطة من خلال تتبعها للحياة العلمية للشيوخ وكيفية سير الدروس وغير ذلك، وقد ركزت فهرسة التنلاني على أربعة مراكز علمية كانت نشطة خلال القرن 12هـ، اثنين منها داخل القطر التواتي هما الزاوية التنلانية والرقادية، وآخرين خارج القطر هما مدينتا أروان ببلاد السودان الغربي وسجلماسة بصحراء المغرب الأقصى .

أ/ 01 المراكز التواتية:

. مركز تنلان : تنلان كما تصورها الفهرسة حاضرة علمية لها ثقل ديني وثقافي كبير في عموم البلاد التواتية، وقد عرف هذا المركز نشاطا كبيرا بعد عودة الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني من فاس³⁷، فأصبحت مقصدا للطلبة من جميع نواحي توات نتيجة المستوى العلمي الرفيع الذي بلغه الشيخ، كما قصدها العلماء للاستزادة من علم الشيخ وأخذ الإجازة منه، حيث حل بها الشيخ عبد الرحمن الجنتوري³⁸، كما حل بها الشيخ عمر الرقادي³⁹. والشيخ الأديب الجوال محمد بن أب المزمري⁴⁰ الذي توقف بالزاوية وأخذ عن شيوخها وانعكس ذلك على الجو العلمي بالزاوية فكانت دروس هؤلاء العلماء تضيي جوا علميا متميزا عززته تلك المناقشات والمراجعات التي كانت تجمع بينهم ، مثل تلك التي كانت تجمع بين الشيخ عمر بن عبد القادر و الشيخ عبد الرحمن الجنتوري، والتي استمرت بين الجنتوري وبين تلميذه المؤلف بعد وفاة الشيخ أبي حفص، ورغم أن

المؤلف لم يفصح عن المواضيع التي دارت حولها النقاشات إلا أن ذلك يوحي بمدى الحيوية التي بلغها النشاط العلمي في الزاوية⁴¹.

. **مركز زاوية الرقاديين** : المركز الثاني الذي رصدته الفهرسة، هو مركز الزاوية الرقادية الذي كان بحسب الصورة التي نقلتها الفهرسة مركزا علميا نشطا، بفضل جهود شيخه عمر الرقادي والبرنامج الذي أعده للطلبة والمصنفات المتنوعة التي كان يدير بها دروسه ونلمس من خلال كلام المؤلف عن نشاط الزاوية، ما يحيل إلى أن الزاوية الرقادية فاقت زاوية تنلان في الحيوية العلمية⁴²، وقد انسجم المؤلف مع الجو العلمي الذي عرفته الزاوية الرقادية حيث تعلق بشيخها وداوم على زيارتها، وجلس للتدريس في مجلس شيخها حيث قدم دروسا في مختصر القلصادي في الحساب وبعض المصنفات الأخرى.

أ/02 المراكز التكرورية :

. **مركز أروان** : ترسم لنا الفهرسة جانبا من جوانب الحياة العلمية التي كانت تشهدها مدينة أروان التي تعد ثاني أكبر الحواضر العلمية في بلاد التكرور بعد حاضرة تنبكتو، فقد استقر بها الكثير من العلماء الذين أضفوا على المدينة نشاطا علميا ميزه تصدرهم حلقات الدرس التي استقطبت الكثير من طلبة العلم، وقد تضمنت فهرسة التواتي معلومات هامة عن سير التعليم في أروان من خلال ترجمتها للشيوخ الذين التقى بهم فيها وأخذ عنهم وأجازوه وبرغم أن المؤلف لم يذكر من الأسباب التي كانت وراء رحلته إلى أروان ، سوى أنه كان مرافقا لشيخه عمر الرقادي⁴³، إلا أن الأكيد أن الغرض منها كان الاتصال بعلماء بلاد

التكرور للاستزادة من علمهم واستجازتهم، وما يبين أن الغرض من الرحلة كان علميا هو أن الشيخ الرقادي أرشد المؤلف إلى إكمال دراسة الخرجية على الشيخ أحمد بن صالح السوقي، بعد أن كان ابتدأها على الشيخ محمد بن أب المزمري⁴⁴، وقد شكل هذا الاحتكاك بين المؤلف وشيخه السوقي مساحة مكنت المؤلف من أن يصور بوضوح مدى التقدم العلمي الكبير الذي كان يعرفه التعليم في أروان، وذلك إنطلاقا من وصفه درس الشيخ السوقي الذي كان يستغرق كامل يومه ويدار بلغات مختلفة منها العربية والتارقية والتكرورية⁴⁵.

كما تنخر تراجم العلماء التكروريين الذين ترجم لهم المؤلف، بصور النشاط العلمي مثل النشاط الذي عرفته مجالس الشيخ طالب بن الوافي طالب الذي قال عنه أنه كان يقصد بالنوازل من أقاصي بلاد التكرور⁴⁶، وهذا ما يعطي صورة عن مدى الحركة العلمية التي عرفها مركز أروان العلمي.

أ/03 المراكز المغربية:

. مركز سجلماسة: تعد سجلماسة من أهم الحواضر العلمية في صحراء المغرب التي عرفت نشاطا كبيرا في القرن 12هـ /18م وقد كان لطريق الحج الذي يربط سجلماسة بتوات الأثر البالغ في ارتباط القطرين علميا وثقافيا، فكان ركب الحاج السجلماسي يمر بتوات متخذا قصورها مراكز استراحة واستزادة من المؤن، وعادة ما يحمل الركب علماء كانوا يجلسون للتدريس في محطات الاستراحة فكان طلبة توات يتسابقون لحضور مثل هذه المجالس للاستفادة مما يلقي فيها من دروس، وهذا ما قد كان يحرك رغبة الطلبة إلى إعمال الرحلة إلى سجلماسة

والخواضر القريبة منها للأخذ عن علمائها، وتعطي فهرسة التواتي صورة واضحة عن هذا التواصل العلمي بين توات وحاضرة سجلماسة وأحوازها إذ كان المؤلف من ضمن الطلبة الذين كانوا على احتكاك بعلمائها سواء بترصدهم أثناء عبورهم المجال التواتي في طريقهم للحج وهو ما حصل له مع الشيخ محمد بن عبد الله الدرعي الذي أجازته في العديد من المصنفات، أو بإعمال الرحلة إليهم كما فعل مع الشيخين صالح بن محمد اللمطي السجلماسي والشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي فأخذ عن الأول علم القراءات على رواية ورش وقالون بينما حضر دروس الثاني وتصيد منها فوائد جلية صورت مدى الانتعاش العلمي الذي كانت تعرفه حاضرة سجلماسة في تلك الفترة⁴⁷.

ب / أقطاب الحركة العلمية في توات وبلاد المغرب والسودان من خلال الفهرسة:

إن المتمعن في مادة تراجم الفهرسة يلحظ أن المؤلف اعتمد في ترتيب مادة فهرسته على ذكر الشيوخ حسب توزيعهم المكاني فوزعهم على ثلاث فئات فابتدأ من الشيوخ الذين تلقى على أيديهم مبادئ العلوم في مراحل تعليمه الأولى، ثم انتقل إلى شيوخه من بلاد التكرور وبلاد المغرب الأقصى الذين ارتحل إليهم قاصدا الاستزادة من العلوم والإجازة

الفئة الأولى : التواتيون :

– أبو حفص عمر بن عبد القادر التلاني (1098-1152هـ/1687-

1739م): كان أول شيوخ المؤلف إذ أخذ عليه مبادئ العلوم بزاويته بتنان وذكر نُتفاً من أهم محطات حياته العلمية والعلماء الذين أخذ عنهم في فاس التي

رحل إليها لطلب العلم ومكث فيها زهاء اثنتي عشرة سنة قضاها في طلب العلم والتعليم، وأورد المؤلف جملة من العلماء المغاربة الذين تلقى عليهم صنوف العلوم، ذكر من جملتهم علماء حازوا شهرة كبيرة في عصرهم أمثال أبي عبد الله المسناوي والحسن بن رحال ومحمد السالم التواتي وهو من علماء توات استقر مدرسا في فاس، وأبو الحسن الحريشي ومحمد عبد السلام بناني وغيرهم من رواد الحركة العلمية بالمغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م)، كما تعرض إلى نشاطه العلمي بفاس وتصدره للتدريس في جامع القرويين والمدرسة المصباحية، ثم تحدث عن عودته إلى بلده تنلان سنة (1126هـ/1714م) وتصدره للتدريس وصوّر المؤلف حالة الجهل بعلوم الدين التي كانت مستشرية في المجتمع التواتي، قبل وصول الشيخ واثر مجهوداته في القضاء عليها⁴⁸.

وأسهب المؤلف في الحديث عن منهج الشيخ أبي حفص في التدريس فعرض إلى المصنفات التي كان يعتمد عليها في تدريسه الطلبة وهي في معظمها كتب تتوزع بين علم الفقه على مذهب المالكية وعلوم اللغة، وعلوم الحديث، فمن المؤلفات الفقهية التي اعتمدها رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل والمرشد المعين لابن عاشر وجمع الجوامع لابن السبكي، وغيرها من المصنفات الفقهية، أما علوم اللغة فقد اقتصر الشيخ في تدريسه على مصنفين لابن مالك هما اللامية والألفية. ثم تحدث عن توليته القضاء وحسن سيرته فيه. ثم عرض في الأخير إلى ذكر بعض مؤلفاته بعد أن يضبط تاريخ وفاته⁴⁹.

- الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم التطافي ثم الجنتوري المتوفى (1160هـ / 1747م) : وعائلته أصيلة بلد تطاف من بلاد توات أنتقل والده الشيخ إبراهيم إلى عين صالح ببلاد تيدكلت واستقر أخيراً بجنتور بنوحي تميمون افتتح افتتح المؤلف الترجمة بذكر نسبه وبعض صفاته ثم تعرض إلى حياته التعليمية وبعض المصنفات التي درسها، ليتحدث بعدها عن لقاء الشيخ الجنتوري بالمؤلف عند مقدمه إلى الزاوية التتلانية لغرض الدراسة على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر. وكان الجنتوري في فترة مكثه في تنلان يقدم دروساً في مبادئ الفقه المالكي لصبيان الزاوية، فنشأت إذ ذاك علاقة حميمة بين الجنتوري والمؤلف ترجمتها حالة الحزن التي خلفها في نفس المؤلف بعد رحيله من تنلان ورغبة المؤلف في السفر إليه والأخذ عنه، وهو ما تم بالفعل، حيث أذن للمؤلف بالسفر إلى جنتور للدراسة على يد الشيخ الجنتوري، فمكث عنده أربعة أشهر قضاها في دراسة بعض المصنفات كمختصر خليل ومختصر القلصادي في الحساب ليعود إلى تنلان ويمكث خمسة أشهر عاد بعدها إلى جنتور ليكمل ما قد كان بدأه في الرحلة السابقة⁵⁰.

وبعد أن ينصرف المؤلف إلى الحديث عن الإجازات التي نالها من لدن شيخه الجنتوري، ثم يحيل القارئ ذكر بعض المعلومات حول مكانة الشيخ ومستواه العلمي الذي أهله أن يتصدر الفتوى والتدريس بعد وفاة الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر⁵¹، كما أورد منهجه في الرد على المسائل التي ترد إليه التي كان يجيب عليها بديهة، سيما تلك التي كانت ترد إليه من شيخه عمر

بن عبد القادر، أو التي كانت ترد إليه من المؤلف، فكان يطيل النقاش في المسائل
الفقهية ويحشد لذلك الأدلة من المعقول والمنقول إلى حد إقناع المراجع برأيه⁵².
ولقد أورد المؤلف، بعض آراء الجنتوري في أحكام قضاة توات، حيث
اتهمهم بالجور والجهل وكان ينكر عليهم بعض ما يتعلق ببعض الأحكام مثل
قبولهم لشهادة الشاهد مكتوبة ولو كان حيا حاضرا، وحكمهم بيع عقار المدين
قبل الإعذار إليه، وحكمهم على الغائب واليتيم من غير تسمية الشهود، وغيرها
من القضايا التي كان يعارضهم فيها حرصا منه على نصرة المظلوم⁵³.
ويحتمل التواتي أن سبب وفاة الجنتوري كانت دسيسة من بعض هؤلاء
القضاة أو ممن يتعصب لهم، نتيجة لمعارضته لأحكامهم التي اعتبرها أحكاما
جائرة وبعيدة عن الشرع ليحدد تاريخ وفاته بـ 23 جمادى الأولى 1160هـ
/1747م.

. الشيخ عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي المتوفى
(1157هـ/1744م): الذي وصفه بأنه كان آية في علم اللغة، فصيح اللسان،
التقاه بزاوية تنلان فنشأت بينهما علاقة حميمة أفضت إلى طلب المؤلف من
شيخه أبي حفص الإذن بالرحيل إلى الزاوية الرقادية للأخذ عن الشيخ الرقادي،
وقدم المؤلف صورة واضحة حول كيفية سير الدروس بالزاوية الرقادية فتعرض إلى
طرق التدريس والمصنفات التي كان يعكف الرقادي على تدريسها للطلبة، ولم
يخف المؤلف إعجابه بالطريقة التي كان يدير بها الشيخ دروسه وبمستواه العلمي

الكبير وحسن تعامله مع الطلبة، حيث نجد أن المؤلف يداوم التردد على الزاوية الرقادية لحضور حلقات درسه ومشاركته في التدريس⁵⁴.

وأورد المؤلف بعض النبذ من تفاصيل الرحلة التي صاحب فيها شيخه الرقادي إلى بلاد السودان حيث زارا قرى تودن وأروان والمبروك، واستفاض في ذكر الحوادث التي اعترضته في تلك الرحلة ليتعرض بعدها لوفاته في طريق الحج بقرية زلة الليبية في 23 ربيع الثاني سنة (1157هـ/1757م)، وذيل الترجمة بذكر بعض صفاته وأخلاقه والشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم كالشيخ محمد الصالح بن المقداد والشيخ محمد بن أب المزمري والشيخ محمد بن عبد المؤمن والشيخ أحمد بن حماد⁵⁵.

. الشيخ محمد بن أب المزمري التواتي المتوفى (1160هـ /

1747م): التقى به المؤلف في الزاوية التنلانية أثناء مروره بها متوجها إلى تيجورارين، فدرس عليه بعض المصنفات اللغوية كالخزرجية في علم العروض⁵⁶ ثم إن المؤلف التقى بالشيخ ابن أب مرة أخرى في مقر سكناه في الزاوية الرقادية أثناء زيارته للشيخ عمر الرقادي، فحضر دروسه في علوم اللغة والنحو والتفسير، ولقد أعجب المؤلف أشد الإعجاب بالمستوى العلمي الراقي الذي بلغه الشيخ بن أب ، فانصرف لرواية مساره العلمي الحافل فعرض إلى ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم كالشيخ محمد الصالح بن المقداد والشيخ سيد أحمد التوجي وغيرهم⁵⁷.

وختتم المؤلف ترجمة شيخه بعرض مصنفاته ونص الإجازة التي أجاز به، و تاريخ وفاته التي حددها بيوم الاثنين 10 جمادى الآخرة 1160هـ/1747م. وذيل الترجمة لجملة من الفوائد التي مثلت بعض آراء الشيخ في مسائل لغوية⁵⁸.

. الشيخ المقرئ عبد الرحيم التواتي التيمماوي التامرتي: ويبدو أن أصله كما هو واضح من بني تامرت وهي إحدى قصور تيمي بتوات، وقد أدرجه المؤلف ضمن شيوخه التكروريين محلا نوعا ما بالترتيب المنتهج ، فجاء على سرد جوانب هامة من حياته العلمية، كرحلته إلى فاس التي مكث فيها سنين عديدة يأخذ من علمائها، حيث أخذ القرآن الكريم و القراءات على يد الشيخ بن مقلب وغيره من علماء المغرب⁵⁹، وبعد مكثه الطويل في فاس ارتحل حاجا إلى البيت الحرام فالتقى في القاهرة بالمقرئ الشيخ أحمد البقري الذي أخذ عنه الشاطبية في التجويد، ثم عاد إلى فاس وأقام بها مدة يسيرة ليعود إلى بلده وفيها التقى به المؤلف فحضر حلقات درسه وأخذ عنه بعض مصنفات علم التجويد كمنظومة الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع⁶⁰.

الفئة الثانية : التكروريون

وينتقل المؤلف بنا إلى بيئة علمية أخرى لها علاقة وطيدة بالإقليم التواتي هي بلاد التكرور التي كانت من بين أهم المحطات العلمية التي زارها خلال فترة دراسته، حيث احتك بعلمائها وأخذ عنهم شتى صنوف العلوم، فأورد في فهرسته الترجمة لأربعة شيوخ التقى بهم وأخذ عنهم وأجازوه .

- الشيخ الفقيه أحمد بن الصالح السوقي : درس المؤلف على في أروان خلال رحلته إلى بلاد التكرور مع شيخه عمر الرقادي فأخذ عليه الخزرجية التي كان ابتداءً دراستها على الشيخ محمد بن أب المزمري، ووصف المؤلف جوانب هامة من حياة شيخه أحمد السوقي وبرنامجه اليومي في التدريس حيث كان يستغرق النهار في الدرس ولا يستريح إلا سويعة عند القيلولة ليستأنف بعدها التدريس. والظاهر أن المؤلف استحسّن طريقة الشيخ في الإقراء؛ حيث قال أنه استفاد منه أكثر مما استفاد من شيخه الأديب محمد بن أب في دراسة الخزرجية. ثم عرض المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن كريم أخلاقه وحسن تعامله مع طلبته وعامة أهل البوادي وصبره على جفائهم، وبين ذلك ببعض الشواهد، لينصرف بعدها إلى سرد الإجازة التي أجازها بها الشيخ السوقي⁶¹.

- الشيخ طالب بن الوافي بن طالب المتوفى (1180هـ/1766م): لقيه أثناء رحلته إلى أروان وجالسه وأخذ على يده الإجازة، غير أن المؤلف لم يستفرض في الترجمة للشيخ، بل اقتصر على بعض أوصافه وملامح نبوغه العلمي⁶².

- أبو العباس أحمد بن الأمين الغلاوي المتوفى (1157هـ/1744م): دفين أئساوة، من بلاد فزان، الذي وصفه بسعة العلم والتواضع وحسن الخلق، وعظم الصيت وكثرة الطلاب، ولقد التقى به المؤلف في رحلته إلى أروان لكنه لم يأخذ عنه شيئاً لأنه وجدّه عازماً على السفر⁶³، ثم لقيه بعد ذلك في قرية أقبلي لما كان في طريقه إلى الحج، فجالسه وأخذ عنه الإجازة. وربما كانت الفترة الوجيزة التي قضاها المؤلف مع الغلاوي وظرف اللقاء السبب في اقتضاب الترجمة، فحررنا

ذلك من التعرف على جوانب هامة من حياة الشيخ المترجم له⁶⁴ ، لاسيما حياته العلمية وطريقة تدريسه وبعض مصنفاته⁶⁵.

الفئة الثالثة : المغاربة :

كان المغرب الأقصى من أكثر الأقطار تأثيرا في الحياة العلمية بتوات وكان مؤمل كل طلبة توات السفر إلى إحدى حواضره والنهل من معين علمائها، فكانت فاس ومراكش وسجلماسة تستقطب الكثير من طالبي الاستزادة من العلوم القادمين من توات، وقد ترجم المؤلف لأربعة علماء مغاربة منهم من ارتحل إليه ومنهم من التقى به في توات.

- الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الدرعي الاكثاوي (1111 -

1163 هـ/1699-1750م) التقى به في طريق عودته من الحج بقرية زاجلو، في بلاد توات، فحضر تدريسه لبعض المصنفات " كالشفاء في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض " و"ورقات إمام الحرمين للجويني" و"صحيح البخاري ومسلم" و"الشماثل للترمذي" و"متون البردة والهمزية لشرف الدين البوصيري"⁶⁶. وبعد أن أورد أجازته المطولة التي أجاز به انصرف المؤلف إلى ذكر بعض المحطات من الحياة العلمية للشيخ كرحلته إلى سجلماسة ودراسته على يد الشيخ مولاي عبد الرحمن الإمام، وإلى مراكش للدراسة على يد عبد الله تكدمت، تلميذ اليوسي، ورحلته إلى تنبكتو ثم إلى فاس التي التقى فيها بعض العلماء منهم أحمد بن مبارك الفلالي ثم رحلته إلى الحج ومجاورته الحرمين وختم الترجمة بذكر بعض مصنفاته⁶⁷.

- المقرئ محمد المكي بن الصالح السجلماسي: ابن أخي الإمام أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي التقى به في تيمي التي قدم إليها مع ابن عمه أبي القاسم، فأخذ عليه علم التجويد بالقراءات السبع⁶⁸.

- الشيخ صالح بن محمد الغماري: والد الشيخ محمد المكي صاحب الترجمة السابقة، وشقيق العالم الجليل أحمد الحبيب السجلماسي، وصفه المؤلف بأنه شيخ القراء ببلاد المغرب حيث نبه أنه لا يوجد بالمغرب من هو أحسن منه تجويدا للقرآن بالقراءات⁶⁹، منشغلا بتبيض مؤلفات أخيه أحمد الحبيب التي منها مؤلف في علوم التجويد. ارتحل إليه المؤلف من توات إلى سجلماسة في: 19 جمادى الأولى (1168هـ/1754م) في رحلة دامت قرابة العشرين يوما وخلال المدة القصيرة التي أقامها عنده ، عرض عليه ختمة القرآن الكريم برواية قالون حيث نبهه إلى بعض أحكام التجويد وأجازه في ذلك⁷⁰.

- الشيخ الفقيه أحمد بن عبد العزيز الهاللي السجلماسي: إلتقاه المؤلف في أثناء رحلته إلى سجلماسة، وصفه بالعالم المتفنن في كل العلوم كال تفسير والفقه والحديث والنحو والمنطق، ثم انتقل إلى الحديث عن مساره التعليمي، حيث أورد أنه أخذ العلم عن شيوخ سجلماسة كمولاي عبد الرحمن الإمام والشيخ أحمد بن أبي القاسم، ثم رحل إلى درعة وأخذ عن الشيخ أحمد بن يوسف ثم إلى فاس ودرس على يد علمائها كمحمد بن عبد السلام بناني، وأحمد بن المبارك اللمطي ومحمد بن رنخا، ثم عاد إلى سجلماسة فأخذ عن الشيخ أحمد الحبيب السجلماسي.

حج سنة (1050هـ/1640م) فلقني جملة من علماء المشرق، ثم عاد واستوطن مدغرة وتصدر فيها التدريس والإفتاء⁷¹. وبعد هذه النبذة عن حياته العلمية انتقل المؤلف إلى الحديث عن انتاج شيخه العلمي حيث عدد الكثير من مؤلفاته.

وقد مكث المؤلف عند شيخه الهلالي قرابة ست وعشرين يوما، قضاها في مجلس درسه مكنته من أن يرصد لنا الكثير من المعلومات حول طريقته في التدريس، حيث كان الشيخ يزاوله من حل النافلة إلى الزوال ومن صلاة الظهر إلى العشاء وكذا الكتب التي كان يدرّسها للطلبة كمختصر خليل وألفية بن مالك والمرشد المعين لابن عاشر وخطبة القاموس وجامع الجوامع وغيرها من المصنفات⁷².

ج / الإجازات العلمية :

من أهم الروافد التي تحيلنا الى مدى عمق العلاقة العلمية بين إقليم توات وبلاد المغرب الأقصى والسودان هي الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء شتى هذه الاقطار وتذخر فهرسة عبد الرحمن التنايني بمثل هذه الأجازات التي جمعها المؤلف من خلال احتكاكه بالعلماء المغاربة والسودانيين مرتحلا اليهم حيناً ومتربصا إليهم أثناء عبورهم المجال التواتي في طريقهم الى الحج أحيانا أخرى وقد شكلت مادة الإجازات نموذجا عن مدى التواصل العلمي بين توات والإقليمين المذكورين حيث حاز المؤلف العديد من الإجازات خلال رحلاته العملية التي قادتة إلى سجلماسة وأروان هذا إضافة الى تلك التي أجازة بها شيوخه المحليين.

أ - إجازتا الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري: أجاز الجنتوري المؤلف مرتين، الأولى سنة (1150هـ/1737م) لما قديم الشيخ إلى تنلان متوجها إلى الحج وقد ابتدأها بمقدمة حمد الله فيها وأثنى عليه، ثم عرج على ذكر فضل حملة العلم على بقية البشر ثم عرض إلى أهمية السند في حفظ العلم وضرورة الإمام به وتحصيله، ثم انتقل إلى ذكر سبب هذه الإجازة وقال أنها كانت بطلب من الأديب الفقيه الأنبل عبد الرحمن بن عمر التواتي، وأبدى الجنتوري تواضع كبيرا عند منح الإجازة للمؤلف حيث صرح أنه ليس أهلا لأن يجاز فضلا أن يجيز ثم صرح بعدها بأنه أجاز للمؤلف إجازة مطلقة في كل ما أخذ عنه من مقروءاته ومسموعاته من تفسير وحديث وأصول فقه وفرائض ونحو وتصريف وبيان ومنطق وكلام وحساب⁷³، ثم ذكر سلسلته في الفقه شيئا عن شيخ إلى الإمام مالك بن أنس وختمها بعبارة "وكتب عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن خديم الحسن الشريف، كان الله له وليا ونصيرا"⁷⁴.

أما الإجازة الثانية ، فكانت بعد رجوع الجنتوري من الحج حيث طلب المؤلف من الشيخ أن يجيزه فيما أخذ عن العلماء الذين لقيهم في حجته⁷⁵ وكتب المؤلف نص استجارة طلب فيها من شيخه أن يجيزه في جميع المصنفات التي أخذها عن مشايخه، خصوصا الفقهية منها، وضمنها جميع الكتب المروية بأسانيدھا من الشيخ إلى غاية المؤلف⁷⁶، وفي الأخير ذيلها بطلب الإجازة من الشيخ⁷⁷.

ابتدأ الجنتوري إجازته بالحمدلة ثم التصريح بأنه أجاز للمؤلف أن يروي عنه جميع مروياته ضمنها الكثير من النصائح والتوجيهات التي يجب أن يتحلى بها الفقيه، ونلمس من كلام الجنتوري حرصه أن لا يقع تلميذه المجاز في المطبات التي وقع فيها فقهاء العصر من ترك للأصول والاهتمام بالفروع واختصارها، والإجازة عموماً مليئة بالفوائد والتوجيهات للفقهاء وختمها بالصلاة على سيدنا محمد سيد المرسلين ثم عبارة الختام "وكتب المتيم المليم عبد الرحمن بن إبراهيم خلدتم الحسن الشريف" ⁷⁸.

ب - إجازة الأديب محمد بن أب المزمري: أجاز الشيخ الأديب محمد بن أب المزمري تلميذه المؤلف بعد الاستحالة التي رفعها الأخير إلى شيخه في المصنفات التي درسها عليه، وحسب ما ورد في نص الاستحالة أن الإجازة كانت في أواسط شوال عام (1151هـ / 1738م)، بالزاوية الرقادية، مقر سكنى الشيخ، وما يلاحظ على الإجازة أنها مقتضبة جداً إذ ابتدأها بالحمدلة فالتصريح بالإجازة للمؤلف والدعاء له ثم الإقرار بالإجازة في جميع ما طلب المجاز، ثم ختمها بالتوقيع باسمه ⁷⁹.

ج- إجازة الشيخ أحمد بن الصالح السوقي: وهي من الإجازات التي تلقاها المؤلف أثناء رحلته لبلاد التكرور بمعية شيخه عمر الرقادي وتوّجت فترة دراسية عكف فيها المؤلف على الدراسة عند الشيخ، حيث شغلت قرابة الورتين ونصف من مادة المخطوط فبعد أسطر الافتتاح طفق المجيز في تعداد خصال المجاز فوصفه بحسن الخلق والأدب والصلاح، ثم بدأ في ذكر المصنفات التي أجازها

فيها بأسانيداً منه إلى غاية مؤلف الكتاب، فأجازه بصحيح البخاري وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى كما أجازه بالعديد من المصنفات في علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة، ثم ختمها بالدعاء للمؤلف⁸⁰.

د- إجازة الشيخ طالب بن الوافي بن طالبين : وتقع في حدود الورقة والنصف ابتدأها الشيخ بالحمدلة والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، ثم صرح بأنه أجاز لأخيه عبد الرحمن التواتي بأن يروي عنه جميع مسموعاته ومروياته بشرط الوقوف على ما أشكل والمراجعة لما أعضل، وأوصاه بتقوى الله والمراقبة، ثم شرع في ذكر المصنفات التي أجازه بها بأسانيداً كصحيح البخاري ومسلم وشفاء عياض وموطأ الإمام مالك والخصائص والمعجزات للسيوطي، وختم الإجازة بتكرير اسمه والدعاء للمجاز⁸¹.

هـ- إجازة الشيخ عبد الرحيم التواتي: وهي إجازة أشار إليها المؤلف ضمن ترجمته للشيخ، ولم يورد نصاً لها حيث اكتفى بذكر أنه أجازه في قراءة الإمام نافع⁸².

و- إجازة الشيخ أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي: وكان الغرض منها رغبة المؤلف في تقصير السند، ذلك أن هذا الشيخ سبق وأن أجاز عبد الرحمن الجنتوري، شيخ المؤلف، لذا فإن نصها جاء قصيراً فبعد البسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد صرح الشيخ بأنه أجاز للمؤلف في كل ما أجاز به الشيخ الجنتوري وأنهى الإجازة بتكرير اسمه⁸³.

ز- إجازة محمد بن علي بن إبراهيم الدرعي: وجاءت هذه الإجازة بعد استجارة رفعها المؤلف إلى شيخه ذكر فيها العديد من المصنفات التي رواها⁸⁴، فبعد الحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أورد أنه أجاز لأخيه المحب الفقيه عبد الرحمن بن عمر التواتي أن يروي عنه جميع مروياته ومسموعاته إجازة تامة مطلقة بعد أن قرأ عليه أوائل بعض المصنفات المذكورة في نص الاستجارة وأوصاه في الأخير بتقوى الله وإتباع سنة نبيه الكريم والاجتهاد في تعلم العلم وتعليمه، كما طلب منه إشراكه ووالديه وأشياخه في الدعاء، وختم الإجازة بالدعاء للمجاز، وذيلها بكتابة اسمه وأرخ للإجازة يوم الخميس الأول من شهر رمضان عام سبع وأربعين ومائة وألف (1147 هـ/1734م)⁸⁵.

ح- إجازة الشيخ صالح بن محمد الغماري: بعد أن أتم المؤلف ختم القرآن الكريم تلاوة بروايته ورش وقالون أثناء رحلته إلى سجلماسة، طلب من شيخه صالح الغماري أن يجيزه بكل ما أجاز به شقيقه العالم أحمد الحبيب، ولا يورد المؤلف نص الإجازة لكنه يورد أسانيد المصنفات التي رواها الشيخ صالح عن أخيه كصحيح البخاري ومسلم وشفاء القاضي عياض وغيرها⁸⁶.

ط- إجازة الشيخ أحمد بن هلال السجلماسي: وهي إجازة جاءت بعد مراسلات عديدة بين المؤلف والشيخ يحتمل أن تكون قبل لقاءهما، حيث طلب المؤلف من الشيخ الإجازة فأجازه الشيخ إجازة بشكل بيت شعري قال فيه:

أَجَزْتُ لَكُمْ مَرُوبَتَنَا مُطْلَقًا وَمَا لَنَا سَائِلًا أَنْ تُتَحَفَّوْا بِدُعَاءٍ⁸⁷.

على أن تعاد بصيغة النشر عندما يقوم المؤلف بنسخ الأسانيد . ولما ارتحل المؤلف إلى سجلماسة وحضر مجلس الشيخ ونسخ أسانيد بعض المصنفات، في كراسين طلب منه الإجازة على أن يشرك معه ابنه محمدا. وقد أورد الشيخ الحاج محمد باي بلعالم في كتابه الغصن الداني بعض المقتطفات من نص الإجازة التي أجاز بها الشيخ أحمد بن هلال تلميذه المؤلف والتي أجاز بها له ولابنه محمد رواية جميع ما صح له روايته من مصنفات وتآليف وقد بلغ عدد صحائف الإجازة 33 ورقة ختمها بالدعاء للمُجازين، وذيلها بكتابة اسمه في الأخير⁸⁸.

د/ طرق التدريس في الاقطار الثلاث من خلال الفهرسة :

في سياق اهتمامها برصد الحياة العلمية لشيوخ مؤلفها لم تخل الفهرسة من إشارات بالغة الأهمية لطرق التدريس المنتهجة من طرف الشيوخ المترجم لهم، وإن كانت هذه الإشارات عادة ما تأتي عرضا أو استطرادا إلا أن المؤلف حصر منها كمّا معلوماتيا يمكن التأسيس به لبحث في طرق التدريس في البلاد التواتية والفضاءات العلمية المجاورة لها وتشير مادة الفهرسة أن التدريس في توات كان يتم عن طريق الحلقات العلمية التي يكون الشيخ مركزا لها، وعادة ما ينقسم الطلبة، حسب فئاتهم العمرية فينتجه الأحداث منهم إلى الانكباب على حفظ القرآن الكريم والمتون الفقهية المعدة للتدريس في هذه المرحلة كمتن ابن عاشر مثلا وفرائض الوضوء وغيرها من المبادئ⁸⁹. بينما ينتجه أصحاب الفئات العمرية الأخرى من الذين اجتازوا المرحلة السابقة إلى دراسة الفقه والحديث وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف والعروض وغيرها.

وكان التدريس ضمن هذه الحلقات غاية في الكثافة، إذ يستغرق كامل اليوم وإن كان ذلك يختلف حسب حيوية الشيخ ونشاطه، ففي حين أن دروس الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر كانت - حسب ما ورد في ترجمته - بما فيها من فوائد قليلة متقطعة بفعل مزاج الشيخ⁹⁰، كانت حلقات الشيخ عمر الرقادي في الزاوية الرقادية⁹¹ والشيخ أحمد بن صالح السوقي بأروان غاية في النشاط والحيوية حيث أثارت إعجاب واهتمام المؤلف فأفرد لها بوصف دقيق، فدرس أحمد بن صالح السوقي كان يبدأ من الصباح إلى الزوال و من صلاة الظهر إلى العصر ومنها إلى العشاء⁹²، وينسحب الأمر على حلقة الشيخ عمر الرقادي بالزاوية الرقادية التي عرفت ذات النشاط والبرنامج، كما كانت حلقة الشيخ أحمد بن هلال السجلماسي "تمتد من حل النافلة إلى العشاء"⁹³.

وكانت طريقة الإسماع هي الطريقة المتبعة في كل الحلقات التعليمية التي رصدها الفهرسة حيث يجلس الشيخ ليستمع جزءاً من المصنف موضوع الدرس، من أحد المنتجبين من طلبته ثم يقوم الشيخ بشرحه اعتماداً على مصنفات الشروح التي شرحت المصنف، وقد تتخلل هذه الشروح انتقادات ومقارنات تضيفي على الدرس طابع النقاش العلمي، كما أشار المؤلف لدى وصفه لطريقة سير درس الشيخ عمر بن عبد القادر التتلافي الذي كان ينتقد مؤلفات الشروح كشرح الزرقاني لمختصر خليل، والمناوي في تدريس "الجامع الصغير" والشهاب الخفاجي في تدريس "الشفاء" والشيخ السنوسي في تدريس "عقائده" والجلال المحلي في تدريس جمع الجوامع، وغيرها من المصنفات التي كانت تشكل مواد الدراسة¹⁰⁰.

ومن خلال هذا الرصد الدقيق لطرق التدريس التي عاينها المؤلف في توات والتكرور وسجل ماسة يتضح جليا مدى التشابه الكبير في الطرق التعليمية بين هذه الفضاءات العلمية حاضرة في مواد الدراسة التي سيطر عليها مصنفات الفقه المالكي وأراجيزه والتي حرص العلماء ومتصديري حلق الدرس في تبسيطها للطلبة، وهذا ما يعطي صورة واضحة على مدى التواصل العلمي بين توات وجوارها.

خاتمة:

ومن خلال هذا العرض المتواضع الذي رافقنا فيه مخطوط فهرسة التتلافي يمكن أن نستخلص ما يلي:

- مثلت توات نقطة ربط مفصلية في ربط العلاقة العلمية والحضارية بين حواضر بلاد المغرب وحواضر بلاد السودان كأروان والمبروك وغيرها.
- على اعتبار أن توات كانت معبر للقوافل التجارية القادمة من الشمال والمتجهة للجنوب من جهة والركاب الحاجة القادمة من شمال وجنوب المغرب الأقصى والمتجهة الى البقاع المقدسة، فان هذا ساعد بقدر كبير على انعاش الحركة العلمية في توات وربط صلاتها بحواضر بلاد المغرب، وهذا ما يتضح في مرصد الفهرسة إذ أن أغلب العلماء الذين أخذ عنهم المؤلف كان أما رحل اليهم أو ترصدتهم في طريق ذهابهم أو عودتهم من الحج وذلك في محطات استراحتهم كأقبلي وزاجلو.
- أورد المؤلف العديد من الإجازات التي تلقاها من علماء أخذ عنهم وبصرف النظر عن الإجازات التي تلقاها من علماء توات فان إجازاته التي حازها من

علماء سجللماسة وبلاد السودان ترسم مدى تجذر العلاقة العلمية بين الأقطار الثلاث بدا من حواضر بلاد المغرب مرورا بتوات وصولا الى بلاد السودان وترجم ذلك حركة الأسانيد الواردة ضمن الأجازات المبسوطه.

— هناك تشابه كبير في طرق التدريس بين الأقاليم الثلاث فطرق التدريس المنتهجة في حاضرة سجللماسة هي المنتهجة في المراكز العلمية في توات وحواضر بلاد السودان، وتطغى عليها مصنفات المذهب المالكي ومتونه، وبالتالي يمكن أن نرسم خطا لإنتشار المذهب إنطلاقا من حواضر المغرب وصولا الى بلاد السودان عبر توات.

الهوامش

1. اختلف أهل التاريخ قديدا في ضبط أصل تسمية توات فذكر صاحب تاريخ السودان أن سلطان مالي(كنان موسى)، الذي مرّ بتوات أثناء رحلته للحج، فأصابه وجع في رجله في هذه المنطقة، فلفظ كلمة توات؛ وهي تعني في لغة سنغاي وجع الرجل. في حين أورد الشيخ مولاي أحمد الطاهري أن سميت كذلك لأنها تواتي للعبادة ينظر : عبد الرحمن السعدي، باريس: طبعة هوداس ،1964، ص07. وأيضا: الطاهري مولاي أحمد، نسيم النفحات في ذكر جوانب من تاريخ توات، مخطوط بخزانة كوسام ، ورقة 03.
2. التادمكي محمد الأمين الأنصاري، القواعد النفيسة في شرح المعرب، شرح علي بن سلطان المكي، الرياض :الطبعة الأولى، دار البخاري، سنة 1416-1996م، ص12 .
3. جوهرة المعاني فيمن ثبت لدي من علماء القرن الحادي، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر، ورقة 38 وأيضا: سيدي عمر، قطف الزهرات سيدي عمر محمد عبد العزيز، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، الجزائر: دار هومة ، ط2، 2002، ص99

4. الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية، مخطوط بخزانة باعبد الله، أدرار الجزائر، ورقة 5-6 .
5. التتلائي، فهرسته، ورقة 01.
6. ابن أب، ضيف الله بن محمد، الرحلة إلى قبر الوالد، خزانة سيدي أحمد ديدي تيمنطيط ، أدرار ، الجزائر . ورقة 67.
7. التتلائي، فهرسته، مخطوط بخزانة مولاي علي قريشي ، أولاد إبراهيم ، أدرار، الجزائر ورقة 03.
8. نفسه، ورقة 03.
9. جنتور من قرى تميمون تبعد عنها بحوالي 60 كلم شمالي ولاية أدرار.
10. التتلائي، فهرسته ، ورقة 25.
11. ليس المؤلف الوحيد الذي لم يرق له المقام في الزاوية الرقادية حيث سبقه إلى ذلك شيخه ابن أب المزمرى الذي غادرها لعله في مائها. ينظر: بلعالم محمد باي، محاضرة حول حياة الشيخ محمد بن أب المزمرى، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار.
12. أروان : مدينة في بلاد التكرور، بينها وبين تمبكتو، ثمانية مراحل إلى الشمال، وتقع الآن ضمن النطاق الحدودي لجمهورية مالي، ينظر: (الأرواني، مولاي أحمد بن بايكر، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، مخطوط بالمكتبة الزيدانية للثقافة نيامي النيجر، 08).
13. التتلائي، فهرسته، ورقة 35.
14. نفسه، ورقة 37.
15. زاجلو: من قرى توات تقع اليوم ضمن الحدود الإدارية لدائرة زاوية كنتة ولاية أدرار الجزائر، وبها قصران زاجلو العرب وزاجلو المرابطين، وتعرف بواليتها ومؤسس زاويتها سيدي علي بن حنيني الأنصاري .
16. التتلائي، فهرسته، ورقة 25 .

17. محمد بن عبد الكريم التمنيطي، جوهرة المعاني، ورقة 39.
18. البلبالي، غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من النوازل، كلها.
19. غاية الأمان في أجوبة أبي زيد التنلاي، ورقة 01. 02.
20. محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، ورقة 15.
21. توجد نسخة منها في خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار.
22. محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، ورقة 39.
23. توجد نسخة من المخطوطين بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار.
24. توجد منها نسختين الأولى موجودة بخزانة مولاي سليمان بن علي بأدغاغ والأخرى توجد بخزانة باعبد الله، أدرار .
25. بلعالم، الغصن الداني، ص 57
26. بلعالم، الغصن الداني، ص 57.
27. يوجد مخطوط مبدور الأول في خزانة الحاج محمد باي بلعالم، الركينة، أولف .
28. المهداوي، الدرة الفاخرة، ورقة 07.
29. سيدي عمر، نفسه، ص 123.
30. جعفري، محمد بن أب، ص 38.
31. المهداوي، الدرة الفاخرة، ورقة 18.
32. المهداوي، الدرة الفاخرة، ورقة 18.
33. جعفري، محمد بن أب، ص 38.
34. المهداوي، الدرة الفاخرة، ورقة 18.
35. عام طفقش، هو عام: 1189هـ، بحساب الجمل: ط: 1، ف: 80، ق: 100، ش: 1000، والمجموع: 1189.
36. المهداوي، الدرة الفاخرة، ورقة 02.
37. التواتي، فهرسته، ورقة 01.

38. التتلافي، فهرسته ،ورقة03
39. نفسه ، ورقة15
40. نفسه ، ورقة 17.
41. نفسه، ورقة14 .
42. نفسه، ورقة16-17.
43. نفسه، ورقة19.
44. نفسه، ورقة19.
45. نفسه، ورقة20.
46. التتلافي، فهرسته ورقة23.
47. التتلافي، فهرسته ، ورقة 38.
48. التتلافي، فهرسته، ورقة02.
49. نفسه، ورقة 03.
50. التتلافي، فهرسته ، ورقة 02.
51. نفسه ، ورقة 14.
52. نفسه، ورقة 14.
53. نفسه ، ورقة 14.
54. التتلافي، فهرسته ، ورقة 16.
55. نفسه ، ورقة 17.
56. نفسه، ورقة 17.
57. نفسه،ورقة 18.
58. التتلافي، فهرسته ، ورقة 19.
59. نفسه ،ورقة 24.
60. نفسه، ورقة 24 .

61. التتلافي، فهرسته ،ورقة 20.
62. نفسه ورقة 23.
63. نفسه ،ورقة 24.
64. نفسه، ورقة 24.
65. نفسه، ورقة 25
66. التتلافي ، فهرسته ، ورقة 25.
67. نفسه ،ورقة 35.
68. نفسه ،ورقة 35.
69. نفسه، ورقة 35.
70. نفسه ، ورقة 36.
71. التتلافي، فهرسته ، ورقة 37.
72. نفسه ، ورقة 38.
73. التتلافي، فهرسته ، ورقة 02.
74. نفسه، ورقة 06.
75. نفسه ، ورقة 06.
76. نفسه ، ورقة 06-12.
77. نفسه، ورقة 12.
78. نفسه، ورقة 14
79. التتلافي ، فهرسته ،ورقة 19.
80. نفسه ، ورقة 20.
81. نفسه،ورقة 22-23.
82. نفسه ،ورقة 24.
83. التتلافي، فهرسته ،ورقة 25

84. يقع نص الاستحاجة في ما يقرب سبع ورقات ، عرض فيها المؤلف كل مرويات الشيخ عن شيوخه ينظر (التنلاي ، نفسه ، 26-34) .
85. نفسه ص34.
86. نفسه ،ص36-37.
87. نفسه ،ص38.
88. بلعالم ، الغصن الداني ، ص39-40
89. تقوم طريقة التحفيظ عن طريق اللوحة التي تصدر بالبسملة والصلاة على سيدنا محمد واله وصحبه ، ثم يكتب فيها في المراحل الأولى الحروف الألف بائية ، أ ب ت ث ، ثم ينتقل الطالب بعدها إلى السور القرآنية فيبدأ من الفاتحة وينتهي إلى البقرة وتحلى اللوحة بأبيات من بعض المتون ويسمى ختم القرآن عند أهل توات "السلكة" ، ثم يرجع منها إلى الفاتحة وهكذا دواليك إلى أن يستظهر القرآن كله حفظا على شيخه . ينظر: البلبالي ، غنية المقتصد ، ورقة 01.
90. التواتي ، فهرسته ، ورقة 03 .
91. نفسه ، ورقة 01
92. ورقة 03
93. ورقة 15
94. - ورقة 15
95. 15-16 .
96. التواتي ، فهرسته ، ورقة 19 .
97. نفسه ، ورقة 38 .
98. نفسه ، ورقة 02.